دور المدرسة الجزائرية في التنشئة الديمقراطية

The role of the Algerian school in democratization

د. قدوري عبد القادر- المركز الجامعي عين تيموشنت- الجزائر

ملخص: يُلحّ المسار التاريخي للإنسانية، على أن الديمقراطية بأبعادها الإنسانية المتعددة لا يمكن أن تنفصل عن ضمير الأفراد ووجودهم، إذ لابد لها أن تتحقق في الضمير الفردي والجمعي، عبر التربية المقصودة في المدارس، قبل أن يتمثّلها الأفراد في ممارساتهم وسلوكياتهم، فارتكازا على هذا المفهوم، بدأ أهل السياسة والاجتماع والتربية في الجزائر، يصوّبون اهتماماتهم بشكل كبير ، نحو العملية التربوية يستقصونها، وذلك من أجل بناء الحقيقة الديمقراطية في المجتمع الجزائر ولو بعد حين، وعليه: فما هو دور المدرسة الجزائرية في تنشئة الأجيال ديمقراطيًّا؟، والذي تراه هذه الورقة البحثية صعب المنال، إلا من خلال القوانين و المراسيم، ومن خلال المناهج و طرائق التدريس المعتمدة أيضا.

الكلمات المفتاحية: المدرسة، المدرسة الجزائرية، التنشئة، الديمقراطية، التنشئة الديمقراطية

Abstract: Insists on the historical path of humanity, that democracy in many humanitarian dimensions can not be separated from the consciousness of individuals and their perception, for it must be realized in the individual and collective consciousness about education schools, before it comes first from individuals in their practices and behaviors. And for that we can say, politicians and educators in Algeria, to carry out scientific research towards the educational process of their investigations, and with the aim of building a democratic reality in Algerian society. Algerian school in the education of generations? This is seen by this paper as difficult to achieve, except through laws and decrees, and through the curricula and methods of teaching adopted.

Keywords: School, Algerian school, socialization, democracy, democratization

مقدمة:

إن أهم اختراع توصل إليه المجتمع الإنساني، هو اختراعه للمدرسة، حيث تعتبر المؤسسة الاجتماعية التي أخذت على عاتقها إعداد الأجيال للحياة اليومية، والمستقبلية عبر تربية منظمة ومقصودة، وذلك من أجل " إنتاج " المواطن الإنسان الصالح ، الذي يعمل على التغير باستمرار، تحقيقا لحياة كريمة وأفضل، وعلى هذا الأساس، كان للمدرسة دورا هاما في عملية التربية والتنشئة، وعليه فما هو دور المدرسة الجزائرية في تنشئة الأفراد ديمقراطيا؟

وللإجابة على هذا التساؤل، تتشقق ورقتنا البحثية إلى المحاور التالية : أولا ضبط المفاهيم، والكلمات المفتاحية للموضوع، ثانيا مبادئ الديمقراطية ومميزات المدرسة وغايات التربية في الجزائر، ثالثا ما هو جهد المدرسة الجزائرية من أجل بناء الديمقراطية في ذهن الأفراد.

مفهوم المدرسة: في اللغة العربية: نقول المدرسة أو "المِدْرَاسُ والمِدْرَسُ: الموضع الذي يدرس فيه والمِدْرَاسُ البيت الذي يُدرس فيه القرآن"(ابن منظور، 2005، ص190)، هذا على مستوى اللفظ، أما اصطلاحا فالمدرسة هي " مؤسسة اجتماعية أنشأها المجتمع عن قصد ووظيفتها الأساسية تنمية شخصيات الأفراد تنمية متكاملة وتنشئة الأجيال الجديدة بما يجعلهم أعضاء صالحين في المجتمع الذي تعدهم له" (فاروق عبده فليه، و أحمد عبدالفتاح الزكى، دت، ص 217)، إذن تُعتبر المدرسة موجود اجتماعي هام، بحيث تسهر على تأهيل و تنشئة التلاميذ ، حتى يتمكنوا من أداء واجباتهم بكل وعي ومسؤولية، وذلك من خلال ما تقدمه من معارف، البيئية ،..الخ) في أنفس الناشئة ، فالمدرسة عموما" هي مؤسّسة تعليميّة يتعلّم فيها التلميذ الدروس لمختلف العلوم، وتمرّ الدراسة بعدة مراحل وهي الابتدائيّة، والإعداديّة(المتوسط)، والثانويّة، كما تنقسم المدارس الى خاصّة وحكوميّة، ويبدأ التعليم الإجباريّ عند سنّ السادسة من العمر، وذلك لإكساب التلميذ أسس الكتابة والقراءة والحساب، وتعتبر مرحلة التعليم الابتدائي، و التعليم المتوسط ، من أهمّ المراحل في توجيه التلميذ، وبناء شخصيته ، وصقل فكره بمجموعة من القيم.

المدرسة الجزائرية: إن المدرسة الجزائرية هي ليست بدعًا من مدارس العالم، فهي تسعى دوما إلى نقل المعارف والأفكار والخبرات، والقيّم الجيّدة للمجتمع الانساني عامّة، وقيم المجتمع الجزائري خاصة، إلى التلاميذ وتأهيلهم للحياة اليومية الاجتماعية المحلية والعالمية، ولقد حدد القانون التوجيهي للتربية الوطنية رقم 08 - 04 المؤرخ في 23 جانفي 2008، أسس ومهام المدرسة الجزائرية، حيث " ترمي إلى تكوين مواطن مزود بمعالم وطنية أكيدة، ومتمسك بعمق، بقيم المجتمع الجزائري وباستطاعته فهم العالم الذي يحيط به والتكيف معه والتأثير فيه والتفتح بدون عقدة على العالم الخارجي ..كما يتعين عليها ضمان وظائف التهذيب والتنشئة الاجتماعية والتأهيل"(القانون التوجيهي للتربية الوطنية، 2008،

ص17)، فالمدرسة الجزائرية، وبناءً على الإصلاح التربوي لسنة2002، اعادت النظر في ثلاثة محاور كبرى هي :" إصلاح مجال البيداغوجيا، إرساء منظومة متجددة للتكوين، وتحسين مستوى التأطير البيداغوجي والإداري، إعادة تنظيم الشامل للمنظومة التربوية"(بوبكر بن بوزيد، 2009، ص 27-28)، والذي يعنينا في هذه الورقة البحثية، هو المجال البيداغوجي، والذي سنبحث من خلاله، في الدور الأساسي للمدرسة الجزائرية، من أجل تنشئة التلميذ على الديمقراطية.

مفهوم التنشئة: في اللغة العربية : مفردة التنشئة من فعل ثلاثي نشأ أي "نَشَأَ، يَنْشَأُ، نَشْأً ونُشُوءاً ونَشاءً: رَبا وشَبَّ، ونشأت في بني فلان نَشْأً ونشوءاً: شَبَبْتُ فيهم."(ابن منظور، 2005، ص170)، أما في الاصطلاح تُعرّف بأنها " إعداد الفرد من ولادته لأن يكون كائنا اجتماعيا وعضوا في مجتمع معين، والعائلة هي أول بيئة تتولى هذا الإعداد، فهي تستقبل المولود وتحيط به، وتروضه على آداب السلوك الاجتماعي، وتعلمه لغة قومه، وتراثهم الثقافي والحضاري، من عادات وتقاليد وسنن اجتماعية، وتاريخ قوميٌّ، وتأخذ بأسلوب الجزم للقضاء على ما يبدو من مقاومة لهذه المواصفات والقيم، وترسخ قدسيتها في نفسه وينشأ عضوا صالحا من أعضاء المجتمع " (مولود زايد الطبيب، 2001، ص10)، ويعرفها البروفيسور "ميشل" "بأنها عملية تلقين الفرد قيم ومقاييس ومفاهيم مجتمعه الذي يعيش فيه، بحيث يصبح متدربا على أشغال مجموعة أدوار تحدد نمط سلوكه اليومي" (مولود زايد الطبيب، دت، ص9-10)، والملاحظ في هذا العصر، وبشكل ساطع، تراجع دور الأسرة في تنشئة الفرد في شتى المجالات ،و ذلك لإنشغالها باحتياجات أفرادها المادية، في عصر طغت فيها الماديات على الجوهر، فلم يعد للأسرة وقتا لمواكبة المعرفة والتطور، فأسندت المهمّة للمجتمع عن طريق المدرسة طوعاً، والتي تعدد خطابها للتلاميذ، وذلك عبر مناهجها، وبرامجها، وكتبها، فنجد لها الخطاب الديني، والاجتماعي، والسياسي والتقني، .والذي يعنينا من خلال هذه الورقة البحثية هو الخطاب السياسي المدني للمدرسة، وكيف تُنشئ التلميذ على مبادئ الديمقراطية، فما هي الديمقراطية ؟ وما دلالة هذه المفردة، لفظا واصطلاحا.

مفهوم الديمقراطية: إن لفظ الديمقراطية لغويا، يعود في الأساس إلى اللغة اليونانية القديمة، وهي مكونة من مقطعين، الأول "Demos " وتعني الشعب، وكلمة "Kratos" أي الحكم أو سلطة، وبذلك تصبح الكلمة "DemosKratos" أي حكم الشعب "(أحمد نوفل وأحمد جمال الطاهر، 2008، ص29).

أما في الاصطلاح، فلقد جاء في الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، أن الديمـقراطية "تتسع لكل مذهب يقوم على حكم الشعب لنفسه، باختياره الحر لحكامه، وبخاصة القائمين منهم بالتشريع، ثم برقابتهم بعد ذلك، وحكومة الشعب تعني في العالم المعاصر حكومة أغلبية الشعب ،كنظام متميّز عن نظام الحكم الفردي أو حكومة الأقلية، والديمقراطية هي أسلوب حياة في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتشمل الحرية بأوسع

معانيها"(اسماعيل عبدالفتاح عبد الكافي، دت، ص211)، إذن فالسيمة الأساسية للديمقراطية هي اشتراك جميع أفراد المجتمع في سياسة وتوجيه الأمور العامّة والتي تهمهم جميعا، فالديمقراطية تعتبر "أفضل وسيلة وجدت حتى الآن لتحقيق الغايات الكامنة في ميدان العلاقات البشرية الواسعة ولتطوير الشخصية الإنسانية" (john dewey, 1938, p400)، وهكذا يتسنى للفرد تحقيق كيانه الاجتماعي، عن طريق الإفصاح على قدراته وخبراته، ويحقق أيضا فردانيته ،وحريته بالإنجاز والابتكار والابداع، لأنه ببساطة مخلوق بشري ذو جسد وروح، يتفاعل باستمرار مع المحيط الاجتماعي.

المفهوم الإجرائي للتنشئة الديمقراطية: التنشئة الديمقراطية" la démocratisation"للطفل هي تلك العملية التي تسعى المدرسة الجزائرية من خلالها إكساب المتمدرس معايير"الديمقراطية وأفضل عامل للتماسك الاجتماعي والوحدة الوطنية، تتمثل في ضمان التكوين وتعليم قيم الشعب والجمهورية في صيغ سلوكات وأخلاق وروح المسؤولية والمشاركة التامة في الحياة العامة للبلد"(القانون التوجيهي للتربية الوطنية رقم 08 - 04 ، ، ص9-10)، إذن فالتنشئة الديمقراطية عملية يتم بمقتضاها إعداد وتأهيل الفرد ليصبح قادرا على التفاعل الايجابي ضمن النسق الاجتماعي والاقتصادي السياسي عن طريق أداء أدوار معينة، وانجاز مهام في المجتمع الذي ينتمي إليه وبصورة ايجابية، وحتى في المجتمع القومي والدولي.

إذن نعتبر التنشئة الديمقراطية عملية إنسانية- تربوية – اجتماعية- مدنية، تمارسها المدرسة، حيث يتم غرس الأخلاق الفاضلة، والقيّم الديمقراطية، في ذهن و أنفس التلاميذ، ويرى "جون ديوي" في هذا الصدد، أن المدرسة، ووفق المنهج العلمي التجريبي، كفيلة بتحقيق هذه المهمّة، فما هي هذه المبادئ الديمقراطية؟

لقد تحدث الفيلسوف التربوي جودن ديوي كثيرا عن الديمقراطية السياسية من خلال كتاباته الثرية حول(التربية والديمقراطية، التربية والخبرة، عقيدتي التربوية، المدرسة والمجتمع ومدارس المستقبل، الفردية قديما وحديثا وغيرها)، وكيف يمكن للتربية المقصودة (المدرسة) أن تغرس في ذهن الناشئة مبادئ و قيما ديمقراطية، تسمح لهم بتعين وجودهم الفردي، ضمن أسس الحفاظ على الجماعة، فإذا تصورنا القيم الاجتماعية كهرم، فيبقى على رأس هذا الهرم "الديمقراطية " التي تعتبر طريقة حياة فردية وجماعية، وتتمثل القيم الديمقراطية في:

الفردية: إن الفرد ليس كائن مستقل بذاته، بل هو يتفاعل باستمرار ضمن البيئة الاجتماعية، بحيث له طموحات وميول للتطور، بل إن الفرد " يصنع وينجز، إن الفردية تعني الابتكار في سلوكه وتصرفاته، وليس هبات تمنح و لكنها أعمال تنجز (جون ديوي، دت، ص314) ولا يمكن للأطفال أن يعبروا عن هذه الفردية إلا عبر التربية المقصودة في المدارس ، فهي تركز على الاهتمام بالتعبير عن الذات والإفصاح على قدراتها ونشاطها، فالتعليم في

المدرسة هو انعكاس لاهتمامات المجتمع، ويتم إعداد الطفل وفق هذه الاهتمامات فلا انفصام بين المدرسة والمجتمع.

الحرية: يعتبر دائما جون ديوي الحرية لب الديمقراطية، ولا يكتفي هذا الفيلسوف التربوي الأمريكي القدير بالحرية المادية السياسة فقط، بل تعدى ذلك إلى الحرية الثقافية التي تؤمن تحقيق مبدأ الفردية ونمائها وتطورها وهذا ما يجب على الفرد والمجتمع تحقيقه، فليست عملية تحقيق الذات "إكمال ماهية ثابتة معينة كامنة في الفرد (أو المواطن)، مطابقة لأخلاق محددة مسبقا أو لصياغة أخلاقية شرعتها الطبيعة أو المجتمع، بل إنه مشروع إبداعي يتميز به النماء الفردي"(RICHARD SHUTERMEN, 1993,p554)، إذن الحرية المقصودة هنا هي ليست تلك الحرية السلبية المحصورة في الجانب المادي الجسمي الشهواني فقط، بل تلك المرتبطة، بما هو ثقافي وفكري وأخلاقي، والذي يكون ناتج ونابع من النشاط الفردي المتجدد الذي يحتاج إلى إطار اجتماعي مناسب، وخلفية ثقافية صلبة متحررة

المشاركة الفعّالة: حسب " جون ديوي" لا يتم تشكيل القيم الاجتماعية، إلا عبر مساهمة كل فرد في الحياة الاجتماعية و التخطيط الاجتماعي" حيث لا ينبغي أن يحصر الفرد نشاطه في الأمور الاختصاصية الفنية فقط، بل يجب أن يشارك مشاركة فعالة في التخطيط الاجتماعي وفي تشكيل سياسة المجتمع ومادام الفرد متأثرا بمختلف المؤسسات التي يعيش في ظلها فمن حقه أن يسهم فعليا في إدارتها"(حنيفي جميلة، 2013، ص 34)، وهذا ما يسمى بدمقراطية المشاركة، التي يتم عبرها توسيع مشاركة الأفراد في النظم التي تحكمهم، تفاديا للاستبداد السياسي والاجتماعي، وهذا ما يتعلمه التلميذ، وينشئ عليه في المدرسة من خلال النشاطات الصفية، أثناء الحصص التعليمية، تنفيذا للمقررات التربوية، ووفق لطريقة المقاربة بالكفاءات، التي تجعل من التلميذ عنصر فعّال في التعلّم، بحيث يجرّب ويشارك في بناء المعرفة والخبرة.

إذن للديمقراطية مبادئ وركائز أساسية تتضح من خلالها للعيان، فنجدها ترتكز على"القانون والحق والحرية والعدالة والكرامة الإنسانية والاحتكام إلى مبادئ حقوق الإنسان وإرساء المساواة الحقيقية بين الأجناس في الحقوق والواجبا، .ومن أهم أسس الديمقراطية الالتزام بالمسؤولية واحترام النظام وترجيح كفّة المعرفة على القوة والعنف"(جميل حمداوي، 2016)، وهذا كله يبقى غايات للتربية في مجتمع المعرفة.

مميزات المدرسة: تتميز المدرسة بخصائص تربوية تميزها عن غيرها من المؤسسات الاجتماعية التي تسعى إلى إعداد الطفل لمجابهة الحياة اليومية، والتي نجملها في ما يلي(نجاة يحياوي، 2014، ص59):

- بيئة تربوية مبسطة تعمل على تبسيط ما في المجتمع من تعقيد بحسب قدرات وحاجات الفرد واستعداداته وتدريجها من السهل إلى الصعب ومن المدركات الحسية إلى المجردة.
- بيئة تربوية مطهرة، فمع تعقد المجتمع تسعى المدرسة إلى أن تقدم بيئة منتقاة من الفساد ومطهرة من عوامل الانحلال التي تصيب المجتمع، وبالتالي تعمل المدرسة على حماية الفرد ورعايته حتى يتم نضجه ويصبح قادرا على مجابهة ما في المجتمع من فساد.
- تتيح الفرصة لكي يتحرر الفرد من إتكالية على الجماعة المنزلية التي يعيش في وسطها ليتصل ببيئة أكثر اتساعا فيحدث الاتزان بين مختلف عناصر البيئة الاجتماعية.

غايات التربية المقصودة في الجزائر: إن غايات التربية في الجزائر تبدو واضحة وذلك من خلال الرسالة المدرسية الجزائرية التي تؤديها، حيث تسعى إلى تكوين أفراد صالحين، متشبعين بقيم الشعب الجزائري، وقادرين على فهم العالم والتكيّف معه، والتفتح على الحضارة والثقافة العالميتين، ولقد حدّد القانون التوجيهي للتربية الوطنية رقم 08 - 04 المؤرخ في 23 جانفي 2008، الغايات التربوية التي تسعى المدرسة الجزائرية بلوغها، وتنشئة الأطفال عليها، وهي(القانون التوجيهي للتربية الوطنية رقم 08 – 04، 2008، ص 40):

الانتماء للأمة الجزائرية: تعزيز الشعور بالانتماء للشعب الجزائري، في نفوس أطفالنا وتنشئتهم على حب الجزائر، وروح الاعتزاز بالانتماء إليها، وكذلك تعلقهم بالوحدة الوطنية، ووحدة التراب الوطني و رموز الأمة.

الهوية الوطنية (الإسلامية والعربية والأمازيغية)الجزائرية:

- تقوية الوعي الفردي و الجماعي بالهوية الوطنية، باعتباره وثاق الانسجام الاجتماعي وذلك بترقية القيم المتصلة بالإسلام والعروبة والأمازيغية.
- ترسيخ قيم ثورة أول نوفمبر 1954 ومبادئها النبيلة لدى الأجيال الصاعدة والمساهمة من خلال التاريخ الوطني، في تخليد صورة الأمة الجزائرية بتقوية تعلق هذه الأجيال بالقيم التي يجسدها تراث بلادنا، التاريخي والجغرافي والديني والثقافي.
- تكوين جيل متشبع بمبادئ الإسلام وقيمه الروحية والأخلاقية والثقافية والحضارية.

المبادئ الديمقراطية:

- ترقية قيم الجمهورية ودولة القانون.
- إرساء ركائز مجتمع متمسك بالسلم والديمقراطية، متفتح على العالمية والرقي والمعاصرة بمساعدة التلاميذ على امتلاك القيم التي يتقاسمها المجتمع الجزائري والتي تستند إلى العلم والعمل والتضامن واحترام الآخرين والتسامح، وبضمان ترقية قيم ومواقف إيجابية له صلة، على الخصوص بمبادئ حقوق الإنسان والمساواة والعدالة الاجتماعية.

وفي إطار هذه الغايات التربوية، تقوم المدرسة الجزائرية "بمهام التعليم والتنشئة الاجتماعية والتأهيل"(القانون التوجيهي للتربية الوطنية، 2008، ص41).

دور المدرسة الجزائرية في التنشئة الديمقراطية:

إن قيمة الديمقراطية، بوصفها مذهب حياة ونمط عيش جماعي وفرداني من جهة وتصرف ثقافي وأخلاقي واجتماعي من جهة ثانية، سوف تبقى شعارات جوفاء، وبرّاقة فقط، من دون عمل للمدرسة (التربية المقصودة) الدءوب والجاد، والذي يعتمد آليات تحقيق وغرس في ذهن الناشئة قيم الإبداع والابتكار الفردي والجماعي، وتحقيق الذات ضمن الإطار الاجتماعي، والحرية الثقافية(فضلا على الحرية المادية)، والإقرار بالمصالح العامة المشتركة، لأن "الديمقراطية التي تطالب بتساوي الفرص كمثل أعلى لها تتطلب تربية يكون فيها التعلم والتطبيق الاجتماعي والأفكار الممارسة والعمل والاعتراف بقيمة ما هو منجز موحد منذ البداية ومن أجل الجميع"(J.Dewy et ev, p260)، وعليه تبقى المدرسة أداة فعّالة في عملية التغير الاجتماعي المنشود المتمثل في غرس وتكريس الأخلاق الديمقراطية في تفكير وسلوك التلاميذ، وعليه ما هي الآليات الجديدة التي اعتمدتها الدولة الجزائرية ضمن خطة الإصلاح التربوي من أجل تنشئة الأجيال على الديمقراطية ؟

في الواقع كان هناك سياق سياسي لإصلاح النظام التربوي في الجزائر، حيث تم "تنصيب اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية في شهر ماي 2000 "(بوبكر بن بوزيد، 2009، ض25)، والتي كان على عاتقها إعادة النظر من أجل بناء سياسة تربوية تتماشي والتعددية الحزبية التي ولجتها الجزائر منذ أكتوبر 1988من جهة، والتحديات التي ينبغي مواجهتها محليّا أو إقليميّا أو عالميا، من جهة ثانية، وظاهرة العولمة الثقافية، والأخلاقية والإعلامية من جهة ثالثة، وذلك قصدإنتاج المواطن الجزائري الديمقراطي الأصيل، وجعل التربية المقصودة تتولي مهام تسيير المجتمع وقيادته، وحسب جون ديوي لا يتحقق ذلك إلا بالاستعمال "المنظم للمنهج العلمي أنموذجا للاستكشاف الذكي ولاستثمار الطاقات الكامنة في التجربة "(john dewey, p679)، وعليه كان إصلاح التربية في الجزائر قائم على أسس من أجل تنشئة الأجيال على القيم الديمقراطية السابقة الذكر، والتي يراها الباحث في ثلاثة أسس هي:

الأساس التشريعي القانوني: من أجل لفت الانتباه إلى دور المدرسة في عملية التنشئة والإعداد الديمقراطي للأجيال، لقد جاءت في مسودة تعديل الدستور الجزائري مارس 2016، في البند الأخير من المادة 65 ما يلي:"تسهر الدّولة على التّساوي في الالتحاق بالتّعليم والتّكوين المهني"(الجريدة الرسمية، 2016، ص14)، وهذه المادة الدستورية تؤسس لمبدأ ديمقراطي في غاية الأهمية، حيث تُحدد مبدأ تكافؤ الفرص بين المواطنين من أجل تنمية الاستعدادات، والإفصاح على القدرات الطبيعية لديهم عند الإطلاق في التمدرس على قدم سواء، ويعتبر الدستور"المحدد لمجموعة القيم التي يجب أن تسود المجتمع الكبير، بعد شحذ همة المجتمع الصغير وتفعيله وهو المدرسة بالقيم ذاتها التي يكفلها الدستور، كالحرية والديمقراطية والعدالة، والمساواة وتكافؤ الفرص والهوية وهو الضامن لجملة من الحقوق

منها –على سبيل المثال لا الحصر– الحق في التعليم "(سعيد لعمش، دت، ص43)، كما نصَّ تفصيلا القانون التوجيهي للتربية الوطنية رقم 08 - 04 المؤرخ في 23 جانفي 2008، على تقنين المبادئ الديمقراطية، حيث جاء في البند السادس من المادة الثانية التي توّضح غايات التربية في الجزائر:"إرساء ركائز مجتمع متمسك بالسلم والديمقراطية، متفتح على العالمية والرقي والمعاصرة بمساعدة التلاميذ على امتلاك القيم التي يتقاسمها المجتمع الجزائري والتي تستند إلى العلم والعمل والتضامن واحترام الآخر والتسامح، وبضمان ترقية قيم ومواقف إيجابية له صلة على الخصوص، بمبادئ حقوق الإنسان والمساواة والعدالة الاجتماعية"(القانون التوجيهي للتربية الوطنية، 2008، ص40).

الأساس البيداغوجي: في مجال البيداغوجيا كانت هناك حزمة من الإصلاحات تمس خاصة المناهج والبرامج التعليمية وإعادة تأهيل بعض المواد الدراسية، وتكريس طابعها الإلزامي على جميع المتمدرسين، فنجد مثلا تم التركيز على مادة التربية المدنية، كونها تسعى لصهر شخصية المتمدرسين في "بوثقة القيم الثقافية والحضارية للمجتمع الجزائري، كما تعلب دورا حاسما في إعداده لممارسة حقوق المواطنة واحترام قوانين الجمهورية"(بوبكر بن بوزيد، 2009، ص75)، وعليه تقع هذه المادة الدراسية في صميم الثقافة الديمقراطية، التي ينبغي إنشاء التلاميذ عليها تحقيقا لغايات التربية في الجزائر، وكان لهذه المادة كتب خاصة بجميع المستويات، تهتم بتنمية البعد الاجتماعي للطفل، بحيث يتم"تنمية الجوانب السلوكية: حسن التصرف، وآداب التعايش الجماعي، وتنمية الاستعدادات الفطرية"(بوبكر بن بوزيد، 2009، ص75)، ومن هنا تأتي أهمية التربية المدنية كمادة دراسية إلزامية للتلاميذ في عملية التنشئة الديمقراطية والإعداد الاجتماعي، فمثلا ومن خلال الكفاءة الختامية التي نصَّ عليها منهاج هذه المادة، حيث يُتوقع من التلاميذ في نهاية التعليم المتوسط أن يكون المتمدرس قادرا على" تمييز خصائص مجتمعه وانتماءاته الحضارية، والأسس الديمقراطية التي بني عليها في إطار حرية التعبير واحترام حقوق الإنسان ومؤسسات الدولة في ظل النظام الجمهور المتفاعل مع المجموعة الدولية "(وزارة التربية الوطنية ، 2013، ص41) وبهذا يكون الجانب الإصلاحي البيداغوجي كفيل بتحقيق التنشئة الديمقراطية، على الأقل على مستوى المناهج والبرامج تنظيرا.

الأساس المنهجي المعتمد في التدريس: إن الفلسفة التربوية عند " جون ديوي "ترى أن المناهج التربوية القديمة، التي تعتمد على التلقين وحشو وشحذ ذهن الأطفال بالمعارف والأفكار والمعلومات، تكون بعيدة كل البعد على المقاربة الواقعية الاجتماعية، ولا تستطيع أن ترتقي إلى إنتاج إنسان ذكي يساهم ايجابيا في النشاط الاجتماعي المشترك ،لأن"التربية التقليدية ممثلة بالمدرسة التقليدية قد قتلت روح الابتكار بما تدخره من أنشطة تعليمية لا تتجاوز الحفظ والتسميع والنقل والتقليد والتكرار"(نتهى عبد جاسم، 2011)

وهنا يؤسس جون ديوي للمنهج العلمي التجريبي الذي يعتمد على المقاربة بين النظرية والتطبيق، حيث أن عملية"إدخال المنهج العلمي إلى المدرسة الطريق الأصوب لدمج

المدرسة في صلب المجتمع ومن ثمة إسهامها في معالجة معضلاته"(حنيفي جميلة، دت، ص36)، وعليه نجد عملية الإصلاح التربوي في الجزائر تكّرس هذا الأساس المنهجي العلمي الجديد، حيث تم اعتماد مقاربة بيداغوجية جديدة، إنها المقاربة بالكفاءات حيث "تعتمد على منطق التعلم المتمركز حول التلميذ وأفعاله وردود أفعاله أمام وضعيات- إشكالية، في هذه المقاربة يُحمل التلميذ على المبادرة بالفعل بدل الركون إلى التلقي(البحث عن المعلومات، التنظيم والترتيب، تحليل الوضعيات، بناء الفرضيات، تقييم فعالية الحلول..) وذلك حسب وضعيات-إشكالية منتقاة باعتبار أنها تمثل وضعيات حقيقية قد يصادفها التلميذ في حياته اليومية (في المدرسة والمجتمع)"(بوبكر بن بوزيد ، 2009 ، ص54)، إذن نستطيع القول أن هناك تلازم بين بين طريقة التفكير والمنهج العلمي، والحصول على فضائل ديمقراطية عند الناشئة، لأن "الاستعمال الإيجابي لقدرات الأفراد الطبيعية في أشغال ذات معنى اجتماعي، أي الاستعمال الموجه بواسطة منهج الذكاء(المنهج العلمي الذي يعتمد المقاربة بالكفاءات)، سوف ينجم عنه لا ريب تحقيق الفضائل الديمقراطية"(حنيفي جميلة ،ص36)، فاعتماد المنهج العلمي الذي يعتمد المقاربة بالكفاءات أثناء العملية التعليمية التعلمية في المدارس جدير بتنشئة الطفل على سمات فكرية وسلوكية، والتي ترقى باستمرار إلى تكوين روح المبادرة لدى المتمدرس والاستقلالية الثقافية والفكرية، وإيجاد نقاط ارتكاز ذاتية، وحقيقية من أجل الشعور بروح المسؤولية، والاشتراك في النشاط الاجتماعي التعاوني الذي يهدف إلى تحقيق المصلحة العامة فعلى القيم الديمقراطية نتحدث.

خاتمة:

نستطيع القول في الختام، أن المدرسة تمثل ضرورة وشرط قوي من أجل إنجاح الغايات التربوية في الجزائر، خصوصا ذلك الشق المرتبط بالمشروع السياسي والاجتماعي والحضاري، قصد تنشئة وإعداد الأجيال على القيم والأخلاق والفضائل الإنسانية، وبغية بناء الحقيقة الديمقراطية في المجتمع ذاته، وذلك عبر ممارسات المواطنين الفردية والجماعية والمؤسساتية ، لكن رغم مجهودات الساسة وأهل التربية والتكوين، المبذولة في هذا المجال ، إلا أنه تبقى تحديات كبرى تواجههم، وهي تلك المتعلقة بالسؤال التالي: من الذي يضمن نجاح المدرسة في تأدية هذه المهمة النبيلة(التنشئة الديمقراطية)، إذا كانت المدرسة الجزائرية تفتقد أو تعاني من نقص في مدّرسين ومؤطرين وإداريين غير متشبعين بالقيم الديمقراطية، فكرا وسلوكا؟، وغير متمكنين بقواعد التفكير العلمي، فضلا على ممارسته في الفصول الدراسية وتنشئة الأجيال عليه ؟.

ليس هذا فحسب، فالأدهى والأمرّ، عندما ينتشر الفساد الأخلاقي والاجتماعي والتنظيمي، والتسييري في المجتمع ككل، فلا ينجو منه أيًّا كان، فردا أو جماعةً أو مؤسسةً حكومية أو غير حكومية، فالساحة الاجتماعية ليست حكرا على المدرسة من أجل التعليم والتكوين وإنتاج العقليات والتربية على القيم الديمقراطية للأجيال، بل تنافسها مؤسسات أخرى لا تقل

شئنا في التنشئة والإعداد ، كالأسرة والمسجد والجمعيات، والأحزاب، ودور الثقافة والشباب، والنوادي الرياضية، والمؤسسات المهنية، فما دام الممارسات الديمقراطية والتفكير العلمي غائب في هذه المؤسسات ، أو ناقص في أحسن أحواله، وهذا من شأنه التشويش على عمل المدرسة، والقضاء على مخرجاتها، لأن جون ديوي يقول"إن المدارس لا تشكل القوة التكوينية القاطعة، وإنما المنظمات الاجتماعية والاتجاهات الحرفية وطابع الترتيبات الاجتماعية هي المؤثرات الأخيرة المسيطرة في تشكيل العقول وتكييفها"(جون ديوي، دت، ص119).

وما يجب تأكيده أنه من المهم أن تكون هناك إرادة سياسية حقيقية، من لدن الحكومة الجزائرية، لأن يكون للتربية والتعليم والتكوين عناية خاصة (سياسية وقانونية واجتماعية)، من أجل تنشئة الأجيال على القيم الإنسانية الفاضلة، في مجال حقوق الإنسان والحرية والمساواة والعدالة والتربية المواطنة والمشاركة السياسية والاجتماعية الفاعلية، إنها الديمقراطية بكل تجلياتها

قائمة المراجع

1. ابن منظور(2005)، لسان العرب، م4، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان.

2. أحمد نوفل، أحمد جمال الطاهر(2008)، الوطن العربي والتحديات المعاصرة ، الشركة العربية المتحدة ، القاهرة.

3. إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية(عربي–انجليزي).

4. بوبكر بن بوزيد(2009)، إصلاح التربية في الجزائر–رهانات وإنجازات، دار القصبة للنشر، الجزائر.

5. الجريدة الرسمية(7مارس 2016)، ع14.

6. جميل حمداوي(2016)، التربية والديمقراطية، منبر حر للفكر والثقافة والأدب الموقع http://www.diwanalarab.com/بتاريخ الأحد 24 تموز (يوليو) 2016

7. جون ديوي(دت)، الفردية قديما وحديثا، ترجمة خيري حماد، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

8. جون ديوي(دت)، تجديد في الفلسفة، ترجمة أمين مرسي قنديل، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر.

9. حنيفي جميلة(2013)، دور المدرسة في بناء الديمقراطية لدى جون ديوي، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ع10، جامعة الشلف.

10.سعيد لعمش، الجامع في التشريع المدرسي الجزائري، ج1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.

11.فاروق عبده فليه، أحمد عبدالفتاح الزكي(دت)، معجم مصطلحات التربية لفظا واصطلاحا، دار الوفاء، مصر.

12.مولود زايد الطبيب(2001)، التنشئة السياسية ودورها في المجتمع، ط1، المؤسسة العربية الدولية للنشر، عمان، الأردن.

13.نتهى عبد جاسم(2011)، فلسفة التربية عند جون ديوي الحوار المتمدن-العدد: 3369- 18/5/2011الموقع على النتhttp://www.ahewar.org

14.نجاة يحياوي(2014)، المدرسة وتعاظم دورها في المجتمع المعاصر، مجلة العلوم الإنسانية، ع36+37، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.

15.وزارة التربية الوطنية (2013)، مديرية التعليم الأساسي، اللجنة الوطنية للمناهج، منهاج السنة الرابعة من التعليم المتوسط، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية.

16.وزارة التربية الوطنية الجزائرية، النشرة الرسمية للتربية الوطنية، القانون التوجيهي للتربية الوطنية رقم 08 - 04 المؤرخ في 23 جانفي 2008، عدد خاص فيفري 2008.

17.J. Dewy et Evelyn Dewy, Dmocracy and Education ,In Social History Of American Education, edited by Rena L.Vasser.

18.john dewey, intelligence in the modern world, edited by joseph ratner,(N.Y : modern library Gient1938).

19.RICHARD SHUTERMEN ,LE Libéralisme pragmatique , (critique ,no 555-556,Aout-sept 1993).